الأخوة النسبية في القصص القرآني

دراسة تحليلية

الدكتور/ إبراهيم محمد أحمد البيومي

دكتوراه في الدعوة الإسلامية – جامعة الأزهر

ملخص البحث:

تناول هذا البحث الحديث عن الأخوة النسبية في القصص القرآني ومكانتها من خلال بيان ما ورد في القرآن الكريم، وقد تحدثت في المبحث الأول عن مفهوم الأخوة واشتقاقاتها في القرآن الكريم ومن ثم تناولت الحديث عن الأخوة وأنواعها كما ورد في القرآن الكريم وأهم النماذج التي تعرض لها القرآن من الأخوة والعلاقة بين الأخ وأخيه وكانت أخوة موسى وهارون أعظم أخوة في التاريخ الإنساني كما أشارت الى ذلك الآيات القرآنية وتناول البحث واجب الأخ نحو أخيه وما يجب أن يكون عليه الأخ مع أخيه.

Research Summary:

This research dealt with the talk about the brother and his position by explaining what was mentioned in the Holy Qur'an about the brother. Brother and brother, the brothers of Moses and Aaron were the greatest brothers in human history, as indicated by the Qur'anic verses .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي أورث كتابه العزيز المجيد من اصطفاه من أكمل العبيد وحفظه بهم من التغيير والتبديل وأحلهم منه منزلة الهادين إلى سواء السبيل...

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له نور بكتابه القلوب وأنزله في أوجز لفظ وأعجز أسلوب فأعيت بلاغته البلغاء وأعجزت حكمته الحكماء وأعيت فصاحته الخطباء.

وأشهد أن محمداً عبد الله ورسوله وصفيه من خلقه وخليله البشير النذير السراج المنير أرفع الأنبياء مقاماً وأحسن الناس كلاماً رافع الإصر والأغلال والداعي إلى خير الأقوال وأحسن الأعمال. وبعد؛

فلقد اهتمَّ الإسلام بالعلاقة بين أفراد الأسرة الواحدة، سواء علاقة الآباء مع أبنائهم، أو علاقة الأبناء فيما بينهم والمتمثِّلة في علاقة الأخوَّة، وعمل على ما يضمن نجاحها واستمرار وجودها، وإن العلاقة بين الإخوة والأخوات من أقوى العلاقات وأقرب القرابات، وهم أَوْلَى الناس بالصلة بعد الآباء والأُمهات، وإن البر بهم طاعة لله، وحسن معاملتهم عبادة، روى النَّسائيُّ بسنده عَنْ طارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَدِمْنَا المدينةَ فَإِذَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ: ((يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)) (١). دَرَجَةُ الْحَدِيثِ: الْحَدِيثُ حَسَنٌ.

إن للأخ منزلة كريمة، ومكانة سامية عظيمة؛ فهو عطية من الله تعالى، وهبة منه سبحانه؛ قال عز وجل عن سيدنا موسى عليه السلام ﴿ **وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا** ﴾ فالأخ هو الحصن لأخيه والمنعة، ومصدر العون والقوة؛ يقف معه ويؤازره بكل ما استطاع، ويكون ركنه الذي يلجأ إليه في مواجهة أعباء الحياة؛ لتتحقق بينهما الصلة في أبهى صورها، وأرقى تجلياتها؛ ويحققا لأهلهما السعادة والاطمئنان، ولأسرهما الترابط والانسجام، ولمجتمعهما التلاحم والسلام ومن أجل بيان مكانة الأخوة وحقوقها جاء هذا البحث.

---

(١) المجتبى من السنن: السنن الصغرى للنسائي: أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، مكتب المطبوعات الإسلامية – حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦ – ١٩٨٦، حديث رقم(٢٥٣٢)، سنن النسائي (٥/ ٦١).

أهمية البحث:

- بيان مكانة الأخوة النسبية في الاسلام.
- إبراز اهتمام الإسلام ببناء علاقات قوية داخل أفراد الأسرة الواحدة.
- إثراء المكتبة الاسلامية بموضوعات جديدة.

أسئلة البحث:

-ما مفهوم لفظ الأخوة النسبية واشتقاقاتها في القرآن ؟

-كيف تحدث القرآن عن الإخوة بأنواعها؟

-ما النماذج التي ذكرها القرآن في الأخوة في القصص القرآني ؟

-ما حق الأخ على أخيه ؟

أهداف البحث:

-بيان مفهوم لفظ الأخوة واشتقاقاتها في القرآن.

-بيان حديث القرآن عن الأخوة بأنواعها.

-ذكر نـــماذج للإخوة من القرآن الكريم.

-بيان حق الأخ من النسب علي أخيه.

منهج البحث:

لقد استخدمت في هذا البحث المنهج الاستقرائي والتحليلي حيث تتبعت النصوص القرآنية التي تحدثت عن الأخ وقمت بالتحليل والتوضيح لها.

الدراسات السابقة

بعد البحث والاطلاع تبين أنه لا توجد دراسة تناولت الأخوة النسبية في القصص القرآني.

خطة البحث:

وتشتمل خطة البحث على مقدمة وتمهيد ومباحث:

المبحث الأول: مفهوم الأخوة النسبية واشتقاقاتها في القرآن الكريم.

الـــمبحث الثاني: حديث القرآن الكريم عن الأخوة النسبية في القصص القرآني.

المبحث الثالث: حق الأخوة النسبية.

المبحث الأول:
مفهوم الأخوة النسبية واشتقاقاتها في القرآن الكريم

مفهوم الأخوة:

لقد اعتنى القرآن بهذه العلاقة التي لا تساويها قرابة غير قرابة الأبوين، فالإخوة من النسب من أقوى الروابط الاجتماعية التي ركز عليها القرآن، وجعلها منطلقا لمتطلبات اجتماعية ودينية، وقد ذكرها القرآن الكريم في سياقات ذات دلالات عديدة، منها ما يقصد به الأخوة من النسب من غير ارتباط بدلالة أخرى، ومنها ما له ارتباط بدلالات إيجابية، ومنها ما له ارتباط بدلالات سلبية ويتضح ذلك من خلال ما يلى: تكرر لفظ الأخوة في القرآن الكريم ومشتقاته للتعبير عن علاقة الإخوة ومكانتها في ستة وتسعين موضعا، وقد جاء هذا اللفظ في القرآن باستخدامات مختلفة في القرآن الكريم ويدور لفظ الأخوة في القرآن حول معان تدور حول معنى المشارك لغيره في نفس الشيء أو المشابه له في نفس العلة ونبدأ بتوضيح لفظ الأخوة والمراد به في اللغة.

تعريف الإخوة في اللغة: الإخوة مصدر أخ وأخ أصله أخو بالتحريك لأنه جمع على آخاء مثل آباء، والذاهب منه واوه لأنك تقول في التثنية أخوان، ويجمع أيضا على إخوان، قال الراغب: أخ: هو المشارك آخر في الولادة من الطرفيْن، أو من أحدهِما، أو من الرَّضاع [٢]، ومُثَنَّاهُ أَخَوَانِ والجمع: أُخْوان وإخْوان وأُخْوَة وإخْوَة، والمؤنث: أُخْت، والجمع للمؤنث: أَخَوات فالأخ هو مَنْ جمعك وإيَّاه صلبُ أبٍ أو بطن أمّ أو كلاهما معًا، أو رضاعة، والأخوان الشقيقان: يجمعهما أب واحد وأمّ واحدة، والأَخٌ لأب: أخ من أب واحد وأمّ مختلفة، والأَخٌ لأمّ: أخ من أمّ واحدة وأب مختلف.

ويستخدم في الـــمشابه لغيره في نفس الشيء ومنه قوله تعالى: ﴿لاَ تَكُونُواْ كَالَّذِينَ كَفَرُواْ وَقَالُواْ لإِخْوَانِهِمْ﴾ [٣] أي لمشاركيهم في الكفر.

(٢) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ، ص١٧.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٦.

ويُستعار في كلِّ مشارك لغيرِه في القبيلة، أو في الدِّين، أو في صنعة، أو في معاملة، أو في مودَّة، وفي غير ذلك من المناسبات [٤]، ومنه قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾، ﴿ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ﴾ [٥] وقوله تعالى: ﴿إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾ [٦] تنبيه على انتفاء المخالفة من بينهم [٧].

قال العسكري: وأصل اشتقاق الأخ من القصد– لأَنَّ قَصْده قَصْد أَخيه، وأَصله من وَخَى؛ أَي: قَصَد، ومن ثم قيل: توخيت الشيء، أي قصدته وأصله تأخيت الشيء[٨].

والأخوة في الاصطلاح: يمكن أن تُعرف بأنها ما يكون بين الأخوين أو الإخوة من التقارب والترابط والاحترام.

مفهوم الأخوة في القرآن الكريم: الأخوَّة إما أن تطلق على الأخوَّة في النسب: الأشقَّاء أو غير الأشقَّاء؛ كالإخوة لأم، أو الإخوة لأب، أو الإخوة من الرضاعة، وإمَّا أن تطلق استعارة، ويدخل تحتها أنواع عديدة، كما جاء في القرآن الكريم.

وبقراءة وتدبر جميع مشتقاتها وجدت كالآتي: ورد في القرآن لفظ "أخ" باشتقاقات مختلفة، فورد بلفظ الإفراد "أخ"، وبالإضافة للمتكلم تارة "أخي"، وللمخاطب تارة "أخوك"، وللغائبين تارة "أخاهم"، وللغائب تارة "أخوه"، و"أخيه"، وبالتثنية "أخويكم"، وبالجمع "إخوة"، و"إخوان"، وبالإضافة للمذكر والمؤنث، "إخوانهم"، و"إخوانكم"، و"إخوانهن"، وبالتأنيث "أخت"، وبالإضافة "أختك"، و"أخت هارون"، وبالتثنية "الأختين"، وبالإضافة "أخواتكم"، وكل ذلك في معاني النسب، والدين، والشراكة، أو الـــمصاهرة والملازمة، ويمكن بيان ذلك في الآتي:

أولاً: ورد هذا اللفظ في القرآن غير مضاف في أربعة مواضع، كلها بمعنى الأخوة النسبية، كما في المواضع التالية:

(٤) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص١٧.
(٥) سورة الحجرات: ١٢.
(٦) سورة الحجر: ٧٤.
(٧) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص١٣.
(٨) الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م، ص٦٩.

الموضع الأول: ﴿وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَالَةً أَوِ امْرَأَةٌ وَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ﴾(٩).

فالـــمراد بالأخ هنا: الأخ لأم فقد أجمع العلماء على أن المراد بالإخوة هنا الإخوة للأُم ويؤيد ذلك قراءة "من أم " بإضافة من أم "فعن القاسم بن ربيعة قال: سمعت سعد بن أبي وقاص قرأ: "وإن كان رجل يورث كلالة وله أخ أو أخت من أمه " (١٠).

الموضع الثاني: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ وَبَنَاتُكُمْ وَأَخَوَاتُكُمْ وَعَمَّاتُكُمْ وَخَالَاتُكُمْ وَبَنَاتُ الْأَخِ وَبَنَاتُ الْأُخْتِ﴾(١١).

فالـــمراد بالأخ هنا: الأخ الشقيق أو لأب أو لأم فبنات الأخ وإن نزلن سواء كان الأخ شقيقاً أو لأب أو لأم من المحرمات.

الموضع الثالث: ﴿وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ ﴾ (١٢).

فالمراد بالأخ هنا: الاخ من الأب لهم وهو بنيامين لذلك عبر بقوله «من أبيكم» وهى حال من قوله «أخ لكم» أي: أخ لكم حالة كونه من أبيكم، وليس شقيقا لكم (١٣).

الموضع الرابع: ﴿قَالُوا إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنْتُمْ شَرٌّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴾ (١٤).

فالمراد بالأخ هنا: الشقيق فيوسف وبنيامين أخوان شقيقان والمعنى إنْ سرق هذا فقد سرق أخ شقيق له من قبل (يقصدون يوسف عليه السلام).

ثانيًا: تكرر لفظ الأخ في القرآن الكريم مضافا في مواضع كثيره للتعبير عن علاقة الإخوة الـــحقيقية بين الأشقاء وغير الأشقاء سواء اتفقوا في العقيدة أو اختلفوا فقد جاء التعبير بالأخ في كليهما.

---

(٩) سورة النساء: ١٢.
(١٠) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى ٦: ٢٢٣، والسيوطي في الدر المنثور ٢: ١٢٦، وزاد نسبته إلى سعيد بن منصور، وعبد بن حميد، والدارمي، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.
(١١) سورة النساء: ٢٣.
(١٢) سورة يوسف: ٥٩.
(١٣) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م، ١٢٣/٤.
(١٤) سورة يوسف: ٧٧.

فقد جاء في قصة ابني آدم الوصف بالإخوة في حال اتفاقهم في العقيدة قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنْ الْخَاسِرِينَ ــ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَاباً يَبْحَثُ فِي الأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْأَةَ أَخِيهِ قَالَ يَا وَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْأَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنْ النَّادِمِينَ﴾ (١٥) وبنفس المعنى استخدمت لوصف العلاقة في قصة يوسف عليه السلام مع الأخ الشقيق في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ (١٦).

وقد جاء الوصف بالإخوة وهم مختلفون في العقيدة كما في قوله تعالى: ﴿ قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٧)، وفي هذا التوقيت كان إخوة يوسف غير الأشقاء غير مؤمنين بالله، ولكن القرآن وصفهم بأنهم إخوة ليوسف النبي، واستمر القرآن الكريم في وصفهم بأنهم إخوة يوسف في جميع أحداث القصة منذ تآمرهم عليه حين ألقوه في الجب، وعودتهم لأبيهم بدونه، ثم ذهابهم إلى مصر للحصول على الحنطة (القمح) وحين عرفهم يوسف، ولم يتغير الوصف بعدما آمنوا بيوسف في آخر القصة فهم إخوته أيضا يقول تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّداً وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقّاً وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنْ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنْ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ (١٨)، إذن البشر جميعا إخوة في الإنسانية سواء اتفقوا في العقيدة أو اختلفوا، سواء كانوا إخوة أشقاء كما جاء في التعبير عن علاقة يوسف وشقيقه أو غير أشقاء كما جاء في التعبير عن علاقة يوسف بإخوته غير الأشقاء قبل إيمانهم به كنبي، وخوف يعقوب عليه السلام من كيدهم ليوسف حين طلب منه ألا يقصص رؤياه

(١٥) سورة المائدة: ٣٠، ٣١.
(١٦) سورة يوسف: ٦٩، ٧٠.
(١٧) سورة يوسف: ٥.
(١٨) سورة يوسف: ١٠٠.

عليهم يقول تعالى: ﴿قَالَ يَا بُنَيَّ لا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْداً إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلإِنسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ (١٩).

ـــــ وقد تكرر في القرآن الكريم أيضا استعمال هذه المفردة (أخ) ومشتقاتها للتعبير عن علاقة الأخوة بين الأنبياء كما جاء في قصة موسى وهارون يقول تعالى: ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَاناً فَأَرْسِلْهُ مَعِي رِدْءاً يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَاناً فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنْتُمَا وَمَنْ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ (٢٠)، وتكرر هذا في مواضع كثيرة في القرآن الكريم لوصف علاقة الأخوة بين الأنبياء موسى وهارون عليهما السلام، وجاءت في معرض الحديث والقصص القرآني في جميع أحداث قصة موسى وهارون عليهما السلام.

وقد جاءت في القرآن بمعنى الأخوَّة في الآدميَّة والإنسانية: قال تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ (٢١) ؛ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا، قيل: أي بشرًا من بني أبيهم آدم (٢٢)، سماه أخًا تنبيهًا على إشفاقه عليهم شفقة الأخ على أخيه (٢٣).

وكذلك جاءت ويقصد بها الأخوَّة في القبيلة: كما في قوله تعالى: ﴿وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ﴾ أي: وأرسلنا إلى عاد أخاهم هودًا، قيل: أخاهم في القبيلة (٢٤).

وكذلك جاءت بمعنى مشابهة الأمم والأقوام بعضم بعضا قال تعالى في معرض بيان الأخوَّة بين الأمم: ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّى إِذَا ادَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَاهُمْ لِأُولَاهُمْ رَبَّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَآتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِنَ النَّارِ﴾ (٢٥) ؛ أي: صاحبتها وشبيهتها.

(١٩) سورة يوسف: ٥.
(٢٠) سورة القصص: ٣٤، ٣٥.
(٢١) سورة هود: ٥٠.
(٢٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م، ٤٦/٩.
(٢٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، مرجع سابق، ص٦٨.
(٢٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٤٦/٩.
(٢٥) سورة الأعراف: ٣٨.

وكما جاءت هذه الكلمة التي تعبر عن علاقة إنسانية رائعة هي الأخوة بين الأشقاء وغير الأشقاء، كأنها فرضا إلهيا يجب تقديسه بين البشر، فقد تكرر استخدام نفس الكلمة بنفس المعنى أيضا لتعبر عن العلاقة بين الأنبياء وأقوامهم من الكفار، كما تكررت في القصص القرآني عن بعض الأنبياء ودعوة كل نبي لقومه أن يؤمنوا بالله، فكان وصف القرآن للنبي بأنه (أخوهم) حتى لو كانوا كفارا وماتوا بكفرهم ودخلوا جهنم، مثلا في قصة نوح عليه السلام يقول تعالى﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ (٢٦)، في نهاية الآيات يتبين إصرار قوم نوح على الكفر ورفضهم دعوة نبي الله، ولكن هذا لا يمنع أنهم أخوة في الإنسانية، وقد تكرر هذا بوضوح أكثر في قصة نبي الله هود يقول تعالى ﴿إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلا تَتَّقُونَ﴾ (٢٧)، وفي نهاية الحوار بينه وبين قومه يقول تعالى ﴿فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٨)، رغم أنهم كذبوه وكان أكثرهم من الكفار إلا أن الله جل وعلا جعل هوداً عليه السلام أخوهم، وتكرر هذا في القرآن في قصص الأنبياء مثل صالح، شعيب، ولوط في القرآن الكريم الشعراء: ١٤٢، هود: ٦١، العنكبوت: ٣٦، هود: ٨٤، الشعراء: ١٦١.

وقد جاءت في موضع آخر يـــحكى عددا من الأقوام الذين كذبوا رسل الله واستحقوا الوعيد يوم القيامة، وكان من ضمنهم إخوان لوط، يقول تعالى: ﴿وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ (٢٩).

هذا في علاقة كل نبي بقومه دون النظر لعقيدتهم، كما جاء في القرآن الكريم استعمال نفس اللفظ لوصف علاقات إنسانية بين البشر دون التدخل في مسألة العقيدة، فتارة تأتي في الحديث بين المنافقين والكفار وتصفهم أيضا بأنهم أخوة يقول تعالى ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴾ (٣٠)، هذا وقد

(٢٦) سورة الشعراء: ١٠٥، ١٠٦.
(٢٧) سورة الشعراء: ١٢٤.
(٢٨) سورة الشعراء: ١٣٩.
(٢٩) سورة ق: ١٣، ١٤.
(٣٠) سورة الحشر: ١١.

أُطلقت على معانٍ أخرى، خرجت عن المعنى الأصلي، تُفيد المشاركة أو المُشابَهة، ومن أمثلتِها:

أخوَّة الدين والعقيدة: سواء الأخوَّة في الإيمان أو الأخوَّة في الشِّرْك أو الكفر، ومثال أخوَّة الإيمان قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾ (٣١)، يقول القرطبي – رحِمه الله –: أي في الدين والحرمة لا في النَّسب، ولهذا قيل: أخوَّة الدين أثبت من أخوَّة النسب؛ فإنَّ أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوَّة الدين لا تنقطع بمخالفة النَّسب (٣٢).

أخوَّة الكفر والنفاق: قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آَمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِنْدَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(٣٣)، وقوله: ﴿وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ﴾، يحتمل أن يكون المراد من هذه الأخوَّة المشاكلة في الدين(٣٤).

أخوَّة الشَّيطان: ومثاله قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا﴾ (٣٥)، والمراد من هذه الأخوَّة: التشبه بهم في هذا الفعل القبيح؛ وذلك لأنَّ العرب يسمُّون الملازم للشيء أخًا له، فيقولون: فلان أخو الكرم والجود، وأخو السَّفر إذا كان مواظباً على هذه الأعمال (٣٦)

الأخوَّة بين الآيات: ومثاله قوله تعالى: ﴿وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آَيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٣٧) ؛ أي: كانت آيات موسى من كبار الآيات، وكانت

(٣١) سورة الحجرات: ١٠.
(٣٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٢٧٤/١٦.
(٣٣) سورة آل عمران: ١٥٦.
(٣٤) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ، ٤٤/٩.
(٣٥) سورة الإسراء: ٢٧.
(٣٦) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ١٥٥/٩.
(٣٧) سورة الزخرف: ٤٨.

كل واحدة أعظم مما قبلها، فهي مشابهة لها في العظمة ومعنى الأخوَّة هنا: الـمشاكلة والمناسبة، كما يقال: هذه صاحبة هذه؛ أي: هما قريبتان في المعنى(٣٨).

كما تكرر استعمال هذه الكلمة ومشتقاتها في القرآن الكريم للتعبير عن علاقات إنسانية مختلفة بين البشر أو لتبين تشريعات وأوامر إلهية وهذا يكون في الدنيا، وكذلك منها ما يبين هذه العلاقة بين البشر في الآخرة وقت الحشر.

وقد لخص ابن الجوزي معاني الأخ التي وردت في القرآن الكريم، فقال إنها على خمسة أوجه:

أحدها: الأخ من الأب والأم أو من أحدهما ومنه قوله تَعَالَى: ﴿فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَة فلامه السدس﴾ وقوله: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ﴾.

والثاني: الإخاء من القبيلة، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا﴾، وقوله: ﴿وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً﴾ أو ﴿وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾، وما شابهها.

والثالث: الإخاء في الدين والمتابعة. ومنه قوله تعالي: ﴿فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾، وقوله: ﴿إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ﴾ وقوله: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾.

والرابع: الإخاء في المودة والمحبة. ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ من على إِخْوَانًا﴾.

والخامس: الصاحب، والمماثل ومنه قوله تعالي: ﴿إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً﴾ (٣٩).

(٣٨) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ٦٠/١٤.

(٣٩) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م، ص١٢٤.

ثانيا: النسب في اللغة والاصطلاح:

في اللغة: (نسب) النون والسين والباء كلمة واحدة قياسها اتصال شيءٍ بشيء. منة النسب سمي لاتصاله وللاتصال به [٤٠].

وفي الاصطلاح: يطلق النسب على القرابات، أو على القرابة. يقال: بينهما نسب: أي قرابة مطلقا، سواء جاز بينهما التناكح، أم لا [٤١].

وفصل البعض في القرابة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴾ فقال: بأن النسب هو من لا يحل نكاحه والصهر: هو من يحل نكاحه. وذوو النسب" هم الذكور، إذ إليهم يقع انتساب الذرية خلفا عن سلف. وذوات "الصهر من الإناث، إذ بواسطتهن تتم المصاهرة ويوجد الأصهار [٤٢] "، و"نسبا وصهرا" مصدران سمي بهما صنفان من القرابة. فالنسب لا يخلو من أبوة وبنوة وأخوة، وأما الصهر فهو: اسم لما بين المرء وبين قرابة زوجه من العلاقة [٤٣].

والنسب نوعان: نسب قريب ونسب بعيد، يقال هذا أقعد من ذاك في النسب، أي أسرع انتهاء وأقرب أبا، ويقال: هذا أكلٌ من هذا، أي أبعد في النسب [٤٤] "، وعمود النسب عند الفقهاء هو الآباء والأمهات وإن علوا، والأولاد وإن سفلوا [٤٥].

مفهوم أخوة النسب: من خلال المعاني المذكورة للأخوة وللنسب يمكن أن نقول أخوة النسب تعنى: الرابطة القوية الحاصلة بسبب القرابة المشتركة في الأبوين أو أحدهما، بين أخوين أو أكثر، ذكورا أو إناثا.

---

(٤٠) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م، ٥/٤٢٢.

(٤١) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٨م، ٢٧١/٧.

(٤٢) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م، ٣٣٨/٤.

(٤٣) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م، ٥٥/١٩.

(٤٤) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، مرجع سابق، ١٤٣/١.

(٤٥) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م، ص٣٥١.

المبحث الثاني:

حديث القرآن الكريم عن الأخوة النسبية في القصص القرآني

المطلب الأول: أخوة موسى وهارون

إن من متع هذه الحياة الدنيا والمنن الربانية الكريمة أن يكون للمرء أخوة أشقاء، أو من أحد أبويه يبرهم ويبرونه، ويسعدهم ويسعدونه، ويصلهم ويصلونه، يرى فيهم أبويه أو أحدهما الذين رحلا عن هذه الحياة، فالأخوة رحم وصلة وقربى يبارك الله –تعالى– به حياة العبد، ويوسع له في رزقه، ويبسط له في عمره؛ يقول رسول الله ﷺ: من سره أن يبسط له في رزقه، أو ينسأ له في أثره؛ فليصل رحمه) (٤٦)، وعن عائشة –رضي الله عنها– قالت: قال رسول الله ﷺ: الرحم معلقة بالعرش، تقول: من وصلني وصله الله، ومن قطعني قطعه الله(٤٧).

وأخبر الله عن المؤمنين في الجنَّة أنهم إخوانا على سرر متقابلين يقول تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾(٤٨)، فوصفهم بالأخوة دون غيرها، وفي وصْفِهم بالأخوَّة دلالة على عِظَم مكانتها وارتضاء الله – تعالى – لهم ذلك.

الأخ عضد ومعين وعون من الله –تعالى– على نوائب الدهر، وظلال يستظل به، وساعد يعتمد عليه، ألم تر كيف يشد الأخ ساعد أخيه ويؤازره، ويقف معه في السراء والضراء، وفي كل نائبة ومحنة وضائقة، وهو محل الثقة، ومكمن السر والستر، وهو أقرب من كل قريب، وأوثق وأودع من تودع عنده الأمانات، إنه عضيد أصيل لا يلين ولا يتراخى ولا يتخلى ولا يدبر ولا يتولى؛ لأنه يعلم أن أخاه جزء منه، فلا يمكن أن يتخلى المرء عن أجزائه وأعضائه.

---

(٤٦) أخرجه من حديث أنس رضي الله عنه: البخاري في كتاب: الأدب، باب: من بسط له في الرزق بصلة الرحم، رقم: (٥٩٨٦) ومسلم في صحيحه كتاب: البر والصلة والآداب، باب: صلة الرحم وتحريم قطيعتها، رقم: (٢٥٥٧)، واللفظ لهما.

(٤٧) البخاري: كتاب الأدب: باب من وصل وصله الله ص١٠٤٨، رقم ٩٥٨٧، وكتاب التفسير: سورة محمد: باب "وتقطعوا أرحامكم".

(٤٨) سورة الحجر: ٤٧.

وقد ذكر القرآن أن المرء يفر يوم القيامة من أخيه وأمه وأبيه، قال تعالى ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ * يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ * لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾(٤٩)، فبدأ بالأخ لأنَّه كانَ في الدُّنيا هو النَّصيرُ والعضيدُ، وهو الرُّكنُ الشَّديدِ، ولكن يومَ القيامةِ يفرُّ من أخيه لأنَّ في الآخرةِ ﴿لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْئًا﴾، وأما في الدُّنيا، فمهما كانَ من البعد بينَكما لا يمكن أن تتخلى عنه، إذا احتجتَ إليه، تجدُ ما يسرُّ خاطرُكَ، ويقرُّ ناظرُكَ، وإذا أعرضَ عنكَ الأصحابُ وجدتَ أخاكَ هو ناصرُكَ.

ومن الأخوة النسبية في القصص القرآني: علاقة موسي وأخيه هارون وأختهما:

لقد قص القرآن علينا قصة أخت موسي وهى أخته لأمه وأبيه كما ذكر المفسرون واسمها مريم كما صرحت بذلك كتب التفاسير، قال الإمام الرازي: "وكانت أخته لأبيه وأمه واسمها مريم" (٥٠) وقيل كان اسمها أم كلثوم ذكر القرطبي في تفسيره "وقالت أم موسى لأخت موسى: اتبعي أثره حتى تعلمي خبره واسمها مريم بنت عمران ؛ وافق اسمها اسم مريم أم عيسى عليه السلام ؛ ذكره السهيلي والثعلبي وذكر الماوردي عن الضحاك: أن اسمها كلثمة وقال السهيلي: كلثوم؛ جاء ذلك في حديث رواه الزبير بن بكار أن رسول الله ﷺ قال لخديجة: "أشعرت أن الله زوجني معك في الجنة مريم بنت عمران وكلثوم أخت موسى وآسية امرأة فرعون" فقالت: الله أخبرك بهذا؟ فقال: "نعم" فقالت: بالرفاء والبنين(٥١).

عُرفت أخت نبي الله تعالى موسى عليه السلام بأنها فتاة ذكية، ولمَّاحة، ومطيعة لأمها، وبارة بأخيها، وكان لها أثر كبير في حياة موسى، تفانت في حب أمها، وكانت خير معين لأمها التي واجهت ظروفاً صعبة في حياتها وكانت من أسباب نجاة أخيها وعودته لأمه، وكانت الفتاة صاحبة عين بصيرة، فلم تغفل عن أخيها لحظة واحدة، وأخذت ترقبه بطرف عينها من بُعد، ولم تدن منه ولم تقترب، لئلا يُشك بصلته بها، فمن ذكائها كانت

(٤٩) سورة عبس: ٣٣-٣٧.
(٥٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، مرجع سابق، ٣٤٨/٩.
(٥١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٢٥٦/١٣.

تمشي جانبا وتنظر اختلاسا كأنها لا تنظره ﴿إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ﴾[٥٢]، أي تمشي على حافة النهر تتبعك، عينها على التابوت خوفاً عليك، ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾، فمن حسن صنيعها وذكائها لا يشعرون أنها ترقبه، ولا بأنها أخته، وهذا من فطنتها، وأخذها الحيطة والحذر.

وحينما تحدث القرآن عما فعلته أخت موسى عبر بقوله ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ﴾ فالتعبير بكلمة (أخته) دون (ابنتها) فيه تصريح بمدار المحبة الكامنة في نفس هذه الأخت تجاه أخيها فأثار التعبير بكلمة (أخته) كل مشاعر وعواطف الأخوة التي تملأ جوانحها؛ مما كان له أثره في امتثالها لما أمرتها به أمها.

و(القص): اتباع الأثر، استُعمل هنا في تتبع الذات بالنظر، وتتبعها لذات أخيها كما يتابع القاص الأثر وما يستلزم ذلك من جهد وعناية وحرص شديد، إشارة إلى الجهد والعناية التي طلبتهما الأم من ابنتها وهي تراقب حال أخيها، وكانت الأخت على قدر المسئولية التي أرادتها منها أمها، يحدوها في ذلك عاطفة الأخوة التي تملأ عليها جوانحها تجاه أخيها.

فيقول القرآن مصورًا حالها وهي تؤدي مهمتها: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنُبٍ وَهُمْ لا يَشْعُرُونَ﴾[٥٣]، فتأمل قوله: ﴿فَبَصُرَتْ بِهِ﴾ دون: (أبصرته) ؛ وذلك للدلالة على شدة عنايتها واهتمامها بأمر أخيها، وحرصها الشديد على مراقبته؛ لأن معنى (بَصُرَ بالشيء) أي صار ذا بصر به، أي: باصرًا له، فهو يفيد قوة الإبصار، أي: قوة استعمال حاسة البصر، وهو التحديق إلى المبصر، فـ (بصر) أشد من (أبصر)، كما أن (الباء) الداخلة على مفعول (بصر) هي باء السببية الدالة على شدة العناية برؤية المرئي حتى كأنه صار باصرًا بسببه، ويجوز أن تكون هذه الباء مبالغة في معنى الفعل [٥٤].

وكما قص القرآن علينا حال أخت موسي معه وصنيعها من أجل أخيها فقد جاءت آيات القرآن تقص علينا أعظم نموذج للأخوة في التاريخ وهو سيدنا موسى مع أخيه

(٥٢) سورة طه: ٤٠
(٥٣) سورة القصص: ١١.
(٥٤) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ٢٤/٢٠، بتصرف يسير.

هارون فقد كان نعم الأخ لأخيه وأنفع أخ لأخيه، فقد سأل سيدنا موسى ربه أن ينعم على أخيه بالنبوة، وأن يكون مشاركا له في أمر النبوة وذلك لحبه الخير لأخيه وتمنى النعمة له فقال ﴿وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنْتَ بِنَا بَصِيرًا﴾(٥٥).

دعا موسى ربه فقال واجعل لي وزيراً من أهلي هارون أخي فأجاب الله دعوته، وأرسل إلى هارون ولذلك سماه هبة له وكان هارون أكبر من موسى قال تعالى: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا﴾(٥٦)، فقد طلب موسى من ربه أن يـــمن على أخيه بالرسالة ليكون معينا له على الأمر، ونصيرا له يقف بجواره ويؤازره، ويمنع عنه بطش فرعون ويحميه من ظلمه وطغيانه، "وخصَّ هارون لفرط ثِقته به، ولأنَّه كان فصيح اللسان مِقْوالاً، فكوْنه من أهلِه مظنَّة النصح له، وكونه أخاه أقوى في المناصحة، وعلّل موسى – عليه السلام – سؤاله تحصيل ما سأله لنفسه ولأخيه، بأن يسبّحا الله كثيراً ويذكُرَا الله كثيراً، ووجه ذلك أنّ فيما سأله لنفسه تسهيلاً لأداء الدعوة بتوفر آلاتها ووجود العون عليها، وذلك مظنة تكثيرها.

وأيضاً فيما سأله لأخيه تشريكه في الدعوة ولم يكن لأخيه من قبل، وذلك يجعل من أخيه مضاعفة لدعوته، وذلك يبعث أخاه أيضاً على الدعوة، ودعوةُ كلّ منهما تشتمل على التعريف بصفات الله وتنزيهه فهي مشتملة على التسبيح، وفي الدعوة حثّ على العمل بوصايا الله تعالى عباده، وإدخال الأمة في حضرة الإيمان والتّقوى، وفي ذلك إكثار من ذكر الله بإبلاغ أمره ونهيه، ألا ترى إلى قوله تعالى بعد هذه الآيات ﴿اذْهَبْ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلا تَنِيَا فِي ذِكْرِي﴾(٥٧) أي لا تضعفا في تبليغ الرسالة، فلا جرم كان في تحصيل ما دعا به إكثار من تسبيحهما وذكرهما الله"(٥٨).

(٥٥) سورة طه: ٢٩-٣٥.
(٥٦) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين الخازن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ط١، ٢٠٠٤م، ٢٤٩/٤.
(٥٧) سورة طه: ٤٢.
(٥٨) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ١٢٣/١٦.

إن الأخ يحتاج إلى أخيه في أصعب المهمات، ويلجأ إليه في أثقل النازلات، فهذا موسى –عليه السلام– يحتاج للمعاون بعد الله –تعالى–، يعينه على تبليغ رسالة ربه، ويدفع عنه بلاء القوم، ويخفف عنه قسوتهم وكبرياءهم، فيسأل ربه –عز وجل– أن يجعل له ومعه أخاه هارون وزيرا قال تعالى ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي * كَيْ نُسَبِّحَكَ كَثِيرًا * وَنَذْكُرَكَ كَثِيرًا * إِنَّكَ كُنتَ بِنَا بَصِيرًا * قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَا مُوسَى﴾[٥٩] وعبر بقوله ﴿اشْدُدْ به أَزْرِي﴾ والشد: الإمساك بقوّة.

والأزر: أصله الظهر، ولما كان الظهر مجمع حركة الجسم وقوام استقامته أطلق اسمه على القُوّة إطلاقاً شائعاً يساوي الحقيقة فقيل الأزر للقوّة.

وقيل: آزره إذا أعانه وقوّاه، وسمي الإزار إزاراً لأنّه يشدّ به الظهر، وهو في الآية مراد به الظهر ليناسب الشدّ، فيكون الكلام تمثيلاً لهيئة المعين والمعان بهيئة مشدود الظهر بحزام ونحوه وشادّه [٦٠]. فالأخ لأخيه كظهره الذي يحميه ويقويه ويستند إليه ويعتمد عليه لذلك، لم يطلب موسي غير أخيه ليقينه وثقته في إخلاصه له، وبذل نفسه في نصرة أخيه فطلب من ربه أن يكون أخاه هارون المؤيد الناصر والمعين له بعد الله قال تعالى ﴿وَأَخِي هَارُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ فأجابه الحق بقوله: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَانًا فَلا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيَاتِنَا أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ [٦١]، فالأخ هو الناصر لأخيه، وهو المعين له في الشدائد، هو من إذا سألتَه أعطاكَ، وإن نزلتَ بك نازلةٌ واساكَ، أخوكَ الذي إذا قُلتَ صدَّقَ قولَكَ، وإذا رأى منكَ عورةً نصحَكَ، وإن تنازعتما في شيءٍ آثركَ، يكونُ معكَ في النوائبِ، ويؤثركَ في الرغائبِ، يضرُّ نفسَه لينفعكَ، ويُشتِّتُ شملَه ليجمعكَ.

وجاء التعبير القرآني بالعضد، والعضد تتجمع فيه العضلات القوية فهو قوام اليد وبشدتها تشتد وشد العضد: كناية عن التقوية له، لأن اليد تشتد وتقوى، بشدة العضد

(٥٩) سورة طه: ٢٩-٣٥.
(٦٠) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، مرجع سابق، ١٢٣/١٦.
(٦١) سورة القصص: ٣٤.

وقوته، وهو من المرفق إلى الكتف، فالأخ لأخيه كذراعه اليمنى التي يعتمد عليها، يقول الإمام القرطبي "فلفظ العضد هنا على جهة المثل، أي: سنعينك بأخيك، فالله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلى عون أحد" (٦٢).

وهذه أعظم أخوة في التاريخ فقد رفعت هارون لمقام النبوة، ولذلك كان موسى أنفع أخ لأخيه فعَنْ هشام بن عروه، عَنِ ابيه، عن عائشة أنها خرجت فيما كانت تعتمر، فنزلت ببعض الأعراب، فسمعت رجلاً يقول: أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه ؟ قالوا: لا ندري. قال: أنا والله أدري. قالت: فقلت في نفسي في حلفه لا يستثني إنه ليعلم أي أخ كان في الدنيا أنفع لأخيه، قال: موسى حين سأل لأخيه النبوة، فقلت: صدق والله. قلت: وفي هذا قال الله تعالى في الثناء على موسى عليه السلام: ﴿ وَكَانَ عِنْدَ اللّهِ وَجِيهًا﴾ (٦٣).

ولما رجعَ موسى –عليه السَّلامُ– من ميقاتِ ربِّه ﴿غَضْبَانَ أَسِفًا﴾ بسببِ عبادةِ قومِه للعجلِ، ﴿قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ﴾ (٦٤) التي فيها كلام الله تعالى.. ﴿وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ﴾ الأكبرِ هارونَ وأمسكه من لحيتِه وهو نبيٌّ من الأنبياءِ، ﴿يَجُرُّهُ إِلَيْهِ﴾ من الغضبِ كانَ رد الأخِ الأكبرِ هارونَ –عليه السَّلامُ مذكرا له برباط الإخوة ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾ (٦٥) ذكَّره بأنَّه أخوهُ، وقَدَّمَ ذِكرَ الأمِّ على ذِكرِ الأبِ؛ لأنَّها أشفقُ وأرحمُ وأرقُّ وأعطف، كأنَّه يقول له: إنَّ المقامَ مقامُ رأفةٍ.. فأنا أخوكَ.. وأخبرَه بأنَّه ليس مُقصِّراً ولا ظالماً، وبيَّن له عُذره، ﴿قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي﴾ فكادَ أن يُقتل في سبيلِ النَّهيِّ عن عبادة العجل.

ثُمَّ قالَ له: ﴿فَلَا تُشْمِتْ بِيَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فشماتةُ الأعداءِ بأخيكَ الأكبرِ وكونه من القومِ الظالمينَ، مما يُحزنُكَ ويعيبُكَ أنت أيضاً.

---

(٦٢) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٥٢/١١.
(٦٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ، ص٢٤٣، لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين الخازن، مرجع سابق، ٢٤٩/٤.
(٦٤) سورة الأعراف: ١٥٠.
(٦٥) سورة طه: ٩٤.

﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾، وتذكَّر ما فعل بأخيه ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(٦٦).

المطلب الثاني: يوسف وإخوته.

قص القرآن علينا ما كان بين يوسف وإخوته بصفة عامة، وما كان بينه وبين أخيه بنيامين بصفة خاصة، فلقد كان ليوسف منزلة عظيمة في قلب أبيه النبي يعقوب عليه السلام؛ لما امتاز به من الخلال الحميدة على سائر إخوته، فحسدوا عليه النعمة خططوا ودبروا للتخلص منه ليصفو لهم قلب أبيهم بالحب، وليبرد وهج أفئدتهم المتقدة بحسد يوسف، إن إخوة يوسف حملهم حقدهم وحسدهم علي يوسف أن يتخلصوا منه فكانوا سببا في ما أصابه من الرق والسجن والذل والغربة وفراق الوالدين وكانوا سببا أن آذوا أباهم إيذاء شديدا، فحزن حزناً شديدًا، وبكى واشتد بكاؤه حتى ذهب بصره.

لقد كانت جناية إخوة يوسف عليه كبيرة إفجناية الأخ على أخيه أعظم من الجناية على غيره، وهي أبقى أثرًا، وأعظم خطرًا، وأكثر ضررًا.

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهند

ولكن يوسف عليه السلام لما مكنه الله منهم عفا عنهم وأكرمهم وقابل اساءتهم بالإحسان جاء في تفسير الطبرى "قال أبو جعفر: يقول تعالى ذكره: قال يوسف لإخوته: ﴿لا تَثْرِيبَ﴾ يقول: لا تعيير عليكم ولا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة وحقّ الأخوة، ولكن لكم عندي الصفح والعفو (٦٧).

وعن السدي قال، اعتذروا إلى يوسف فقال: ﴿لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾ يقول: لا أذكر لكم ذنبكم.

وعن ابن إسحاق: ﴿قال لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾، أي لا تأنيب عليكم اليوم عندي فيما صنعتم.

(٦٦) سورة الأعراف: ١٥١.

(٦٧) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م، ٢٤٣/٩.

فقد سمح لهم سماحا تاما، من غير تعيير لهم على ذكر الذنب السابق، ودعا لهم بالمغفرة والرحمة، وهذا نهاية الإحسان، الذي لا يتأتى إلا من خواص الخلق وخيار المصطفين (٦٨).

قد عفا عنهم عفو الكريم القادر فقال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وكافأهم وترفع عن ذكر الماضي المظلم، فذكر السجن ولم يذكر الجب، وجرد نفسه عن نسبة الإحسان إليهم فنسبه إلى الله، وجعل ما حصل له من جناية إخوته من نزغ الشيطان بينهم، فقال: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي ﴾ (٦٩).

فقد أعلن يوسف أمام إخوته الصفح والعفو والتغاضي عما فعلوه فهو الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم فقد قال " يوسف لإخوته على سبيل الصفح والعفو يا إخوتي: لا لوم ولا تأنيب ولا تعيير عليكم اليوم، فقد عفوت عما صدر منكم في حقي وفي حق أخي من أخطاء وآثام وأرجو الله-تبارك وتعالى- أن يغفر لكم ما فرط منكم من ذنوب وهو- سبحانه - أرحم الراحمين بعباده (٧٠).

وقال الزجاج: المعنى لا إفساد لما بيني وبينكم من الحرمة، وحق الإخوة، ولكم عندي العفو والصفح ؛ وأصل التثريب الإفساد، وهي لغة أهل الحجاز، وعن ابن عباس أن رسول الله - ﷺ - أخذ بعضادتي الباب يوم فتح مكة، وقد لاذ الناس بالبيت فقال: الحمد لله الذي صدق وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده ثم قال: ماذا تظنون يا معشر قريش قالوا: خيرا، أخ كريم، وابن أخ كريم وقد قدرت ؛ قال: " وأنا أقول كما قال أخي يوسف لا تثريب عليكم اليوم " فقال عمر - رضي الله عنه -: ففضت عرقا من الحياء من قول رسول الله - ﷺ - ذلك أني قد كنت قلت لهم حين دخلنا مكة: اليوم ننتقم منكم ونفعل، فلما قال رسول الله ﷺ ما قال استحييت من قولي. يغفر الله لكم مستقبل فيه

(٦٨) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م، ٤٠٢/١.
(٦٩) سورة يوسف: ١٠٠.
(٧٠) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ٣٩٥/٧

معنى الدعاء ؛ سأل الله أن يستر عليهم ويرحمهم، وأجاز الأخفش الوقف على ﴿عَلَيْكُمُ﴾ والأول هو المستعمل ؛ فإن في الوقف على ﴿عَلَيْكُمُ﴾ والابتداء ب اليوم يغفر الله لكم جزما بالمغفرة في اليوم، وذلك لا يكون إلا عن وحي، وهذا بين. وفى هذا الوقف بيان لشدة محبته لأخوته وتمني أن يعفو الله عنهم عاجلا غير آجل، ولذلك قال عطاء الخراساني: طلب الحوائج من الشباب أسهل منه من الشيوخ؛ ألم تر قول يوسف: لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وقال يعقوب: سوف أستغفر لكم ربي" (٧١).

ويقص الحق ما كان بين يوسف وأخيه بنيامين وما تحدث به يوسف من كلمات التسلية لأخيه فالمحبة للأخ في القلب راسخة وفى العين بادية وفى الكلمات ظاهرة والألسن بها ناطقة وكانت كلمات يوسف لأخيه تدل على قوة مشاعر الأخوة الحانية تجاه أخيه فقد كانت أولى كلمات يوسف لأخيه بعد فراق سنوات عديدة وفى أول لقاء بينهما يذكره برباط الإخوة وميثاق المحبة ومكمن السرور ومفتاح السعادة وذهاب البؤس وذلك أنه التقى بأخيه ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ كم تحمل هذه الكلمة من معان ومشاعر ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ﴾ أخوك الذي يحبك أخوك الذي يحمل همك أخوك الذي يسره لقاءك أخوك الذي سيخفِّف عنك ألَمك، ويضع عنك حزنك، ويسعى لإسعادك، أخوك الذي يشتاق اليك اخوك الذي يضمك اليه ويقف بجوارك في الشداد والنوائب، ومن له أخ فلا يغتم ولا يبتئس، إن البؤس ينتهي ويزول عند لقاء الأخ بأخيه، أخوك الذي ينتظر قدومك، أخوك الذي لا يخونك ولا يبيعك، أخوك الذي خططتُ ودبرتُ حتى يجمعنا هذا اللقاء.

لا يضيقُ ولا يغتمُّ من عندَه أخٌ كريمٌ.. ولا يحزنُ ولا يبتئسُ من عندَه أخٌ رحيمٌ.. ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٧٢) ؛ فانتهى البؤسُ بمجردِ لقائه بأخيهِ.. فهو الذي في الغربةِ سيواسيه ويحميه.

ومما يدل على محبة يوسف لأخيه وتعلقه به وشوقه إلى لقائه وتمنيه للقائه أنه خطط وسعى حتى يلتقى بأخيه في هذا المشهد الذي يدل على متانة العلاقات الأخوية، فلقد اشتد شوق يوسف إلى لقاء أخيه، جاء في البحر المديد "اشتاق يعقوب إلى لقاء يوسف

(٧١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٢٢٩/٩.
(٧٢) سورة يوسف: ٦٧.

عليهما السلام فبقى سنين كثيرة، واشتاق يوسف إلى بنيامين فرزق رؤيته في أوجز مدة"[٧٣]، وهكذا الأمر فمنهم موقوف به، ومنهم صاحب بلاء، ذكر الامام القرطبي في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾، قال قتادة: ضمه إليه، وأنزله معه. وقيل: ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٧٤].

رُوي أنه أضافهم، فأجلسهم اثنين اثنين، فبقي بنيامين وحيداً فبكى، وقال: لو كان يوسف حياً لجلس معي، فأجلسه معه على مائدته، ثم قال: لينزل كل اثنين بيتاً، وهذا لا ثاني له فيكون معي، فبات عنده، وقال له: أتحب أن أكون أخاك بدل أخيك الهالك؟ قال: من يجد إذاً مثلك، ولكن لم يلدك يعقوب ولا راحيل، قال إني أنا أخوك وعرفه بنفسه، فلا تبتئس ولا تحزن ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ في حقنا من الأذى [٧٥].

جاء في تفسير الوسيط للطنطاوي: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ آوَىٰ إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

لقد كان بعد ذلك أن سافر إخوة يوسف إلى مصر، ومعهم " بنيامين " الشقيق الأصغر ليوسف، والتقوا هناك بيوسف، ويكشف هذا اللقاء عن أحداث مثيرة، زاخرة بالانفعالات والمفاجآت والمحاورات... التي حكاها القرآن في قوله – تعالى –: ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ﴾، قوله – سبحانه – ﴿وَلَمَّا دَخَلُواْ على يُوسُفَ آوى إِلَيْهِ أَخَاهُ﴾ شروع في بيان ما دار بين يوسف – عليه السلام – وبين شقيقه " بنيامين " بعد أن حضر مع إخوته.

وقوله ﴿آوى﴾ من الإيواء بمعنى الضم. يقال: آوى فلان فلانا إذا ضمه إلى نفسه، ويقال: تأوت الطير وتآوت، إذا تضامت وتجمعت.

وقوله: ﴿ فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾: افتعال من البؤس وهو الشدة والضر. يقال بَئِس – كسَمِع – فلان بؤساً وبئوساً، إذا اشتد حزنه وهمه.

(٧٣) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م، ١٩٥/٢.
(٧٤) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، مرجع سابق، ٢٤٣/١٣.
(٧٥) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ، ٤٠٦/٣.

والمعنى: وحين دخل إخوة يوسف عليه، ما كان منه إلا أن ضم إليه شقيقه وقال له مطمئناً ومواسياً: إنى أنا أخوك الشقيق. فلا تحزن بسبب ما فعله إخوتنا معنا من الحسد والأذى، فإن الله – تعالى – قد عوض صبرنا خيراً، وأعطانا الكثير من خيره وإحسانه (٧٦).

وبلغ من حب يوسف لأخيه أنه أزال عنه الهم وبعث الطمأنينة في قلبه والسكينة في نفسه فأحسن وفادته وبالغ في ضيافته وانزله منزله وسعى لإبقائه معه فهو لا يريد ان يفرط في اخيه ولا ان يذهب عنه قال الإمام ابن كثير: يخبر الله – تعالى – عن إخوة يوسف لما قدموا على يوسف ومعهم أخوه " بنيامين " وأدخلهم دار كرامته ومنزل ضيافته وأفاض عليهم الصلاة والإحسان، واختلى بأخيه فأطلعه على شأنه وما جرى له وقال: ﴿فَلاَ تَبْتَئِسْ﴾ أى: لا تأسف على ما صنعوا بى، وأمره بكتمان هذا عنهم، وأن لا يطلعهم على ما أطلعه عليه من أنه أخوه وتواطأ معه أنه سيحتال على أن يبقيه عنده معززاً مكرماً معظماً (٧٧).

الـــمطلب الثالث: أخوة قابيل وهابيل.

يقص القرآن علينا في سورة المائدة مشهدا من المشاهد التي حدثت بعد أن خرج آدم عليه السلام من الجنة وأهبط إلى الأرض، مشهد الأخوين قابيل وهابيل حيث يظهر فيه الأخ الذي يمتلئ قلبه بالحقد والحسد الطاغي الَّذي يتفجّر في صدره كالحمم على أخيه من غير ذنبٍ جناه، إلاَّ أنَّ الله أنعم عليه ولم ينعم على الحاسد، إنَّه الحسد الَّذي يواجه فيه الحاسد المحسود، حمله حسده وحقده على معصية ربه وإغضابه، وإبكاء والديه وغمهما، وقطع رحمه بالاعتداء على شقيقه بالقتل ظلمًا وعدوانًا وبسبب الحسد اعتدى الأخ على أخيه وطمع في ماله ونظر إلى نعم الله عليه وعطائه سبحانه له، وهذا نموذج لكثير من الإخوة في مجتمعاتنا، وفى المقابل نجد نموذج الأخ المتمسك بعلاقة الأخوة يقدسها ويحافظ عليها ويمتلئ قلبه بالوداعة الإيمانيّة والصفاء الروحي، والمشاعر الطاهرة

(٧٦) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، مرجع سابق، ٣٩٥/٧.
(٧٧) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م، ٣٤٣/٤.

المنسابة في عروق الحياة، كانسياب النّور في عروق الصباح، ويمتلئ قلبه ولسانه بالسلام المنهمر كالشلال من كل كلماته في ردّه على تهديد أخيه له في قوله تعالى: ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِاقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ﴾ (٧٨).

إن هذا المشهد يمثل صراع الخير والشر، حيث يشكل الإرهاصات الأولى للواقع الاجتماعي وللتجارب النفسية الشخصية..، الّتي قد تسهم تعقيداتها في إيجاد الدوافع الذاتية للجريمة إن هذا المشهد يجسد مأساة كثير من الأخوة في مجتمعنا اليوم، فكم من نزاعات وخلافات تمت بين الأخوين أو الأخوة وانتهت بمثل هذه النهاية الأليمة بعد أن تطوع النفس للأخ أن يقتل أخاه أو يعتدى عليه بالقتل أو الضرب أو السب والشتم وقد زين الشيطان وسولت النفس لصاحبها الاعتداء على أقدس رابطة وأقوى علاقة بسبب الدنيا وما فيها من متاع زائل فما الذي جناه قابيل بعد أن طوعت له نفسه وقتل هابيل سوى الخسران والخزي، وباء بالذنب العظيم والظلم الكبير، وزال كل ما سعى إليه قابيل، ولحق بهابيل في النهاية وقد ترك ما اعتدى على أخيه من أجله وترك كل متاع الدنيا، فكل ما يقاتل الإنسان من أجله زائل ولا يبقى له إلا العقاب والعذاب.

لقد قصَّ اللهُ –تعالى– علينا هذا النبأَ العظيم.. والخبر الأليم. حتى يعرف الأخ قوة رابطة الأخوة وقداستها، ويحذر من أن يصيب هذه العلاقة المقدسة بما يكدر صفوها، أو أن يجعل علائق الدنيا سببا من أسباب هدمها فقالَ تعالى لنبيه – ﷺ: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ابْنَيْ آدَمَ بِالْحَقِّ﴾ (٧٩). قصَّ عليهم قصتَه، وجعلها محفوظةً في كتابِ اللهِ تعالى ليتلوها النَّاسُ إلى يومِ القيامةِ.. وتكونُ لهم عِبرةٌ وعظةٌ وتذكرةٌ.. فكيفَ يقتلُ الأخُ أخاهُ؟.. كيفَ يُحزنُ أمَّه وأباهُ؟.. كيفَ يقتلُ من جاورَه في رَحمِ الأمِّ؟.. كيفَ يقتلُ من شاركه الأفراحَ والهمَّ؟، ولذلكَ أصبحَ من الخاسرينَ.

ويأتى المشهد الذي يدل على الخيبة والخسران بفقد الأخ لأخيه بعدَ أن أغراه بقتل أخيه الشَّيطانُ.. وهو يحملُ أخاه فوق ظهره، يدور به في الأرضِ ندمان.. حتى أرسل اللهُ تعالى إليه الغراب رمزَ الغُربة والفسق ﴿يَبْحَثُ فِي الْأَرْضِ لِيُرِيَهُ كَيْفَ يُوَارِي سَوْءَةَ أَخِيهِ

(٧٨) سورة المائدة: ٢٨.
(٧٩) سورة المائدة: ٢٧.

قَالَ يَاوَيْلَتَا أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْغُرَابِ فَأُوَارِيَ سَوْءَةَ أَخِي فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ ﴾ (٨٠).

إن قِصَّة الشقيقين ابْنَيْ آدم تعد مِثالاً واضحًا لِعُمق هذه العلاقة، حينما ذَكَر اللهُ فِعْلَ قَابيلَ، وذلك بقتلِه لِأَخِيه هابيلَ، قال في وصف المأساةِ، ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ ولهذا قال السَّعْدِيُّ –رحمه الله– معلِّقًا على قوله ﴿فَطَوَّعَتْ﴾ قال –رحمه الله–: "فَلَمْ يَرْتَدِعْ ذلك الجاني، ولم يَنْزَجِرْ، ولم يَزَلْ يُعزم نفسه ويجزمها، حتى طوَّعَت له قَتْلَ أخيه الذي يقتضي الشرعُ والطبعُ احترامَه» (٨١).

لقد سهلت لقابيل نفسه المتخمة بالحقد قتل أخيه بلا ممانعة، ففعل جريمته الكبرى، وبها سجل على نفسه أول جريمة قتل في تاريخ البشرية، فسنَّ سنة سيئة؛ قال رسول الله ﷺ: ((لا تُقتل نفس ظلمًا إلا كان على ابن آدم الأول كِفْلٌ من دمها؛ لأنه أول من سن القتل))(٨٢).

فعلـــى أخيـــه جنـــى بـــدون مخافـــة ... للهِ أو عطـــــفٍ علـــــى أبويـــــه

واســـتلَّ مـــن قلـــب حســـودٍ بغيَـــهُ ... فقضـــى بـــه يـــوم الشـــقاء عليـــهِ

أين النُّهى والخوف مـــن رب الـــورى؟ ... يـــا ويلَـــه يـــوم الوقـــوف لديـــه

وهى من المشاهد الأولى التي حدثت في الأرض التي تبين خطر الاعتداء على النفس البشرية فكيف إذا كان المقتول نفسك وقطعة منك، فالأخ لأخيه كالروح للبدن وهو عضدك وسندك لذلك كانت من المعاصي الكبرى الأولى التي وقعت على ظهر الارض

(٨٠) سورة المائدة: ٣١.
(٨١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مرجع سابق، ٤٠٢/١.
(٨٢) البخارى باب من انتظر حتى تدفن وباب خلق آدم وذريته ج ٤ ص١٣٣.

بين ابنى آدم، بين أخوين ينتميان لنفس واحدة وحملتهما بطن واحدة ونزلا من رحم واحد فحاق به الخزي والندامة وباء بالهلاك وكان من الخاسرين، فكأن هذا المشهد وتلك القصة رسالة تحذيرية للأخوة لضبط العلاقات وأن تمتلئ بالحب والعطف وتخلو من الحقد والحسد، فقد كان الحسد من قابيل لهابيل من أهم دوافع البغي والعدوان على أخيه، إن العلاقات بين الأخوة إن قطعت أودت بهم الى الخسران والهلاك وباء بهم الخزي والندامة فيصبحوا من النادمين كما ندم قابيل على ما فعل بأخيه.

كيف يُتَصَوَّرُ أن أخوَين خرجَا من بطنٍ واحدٍ، وصُلبٍ واحدٍ، ونامَا جميعًا في مكانٍ واحدٍ سنينَ طويلةً، بل ولبسَا ثيابًا واحدةً، وأكلا وسافرا جميعًا، وتعاونا جميعًا هَمُّهم واحدٌ، وفرحُهُم في وقتٍ واحدٍ، فإذا ما كَبِرا وترعْرعا دخل الشيطانُ، وحَرَّشَ بينهما، حتى استطاع أن يَقلب هذه العلاقةَ إلى نكدٍ وكيْدٍ وحقْدٍ وعداوةٍ ظاهِرةٍ.

والأَبوانِ، إنْ كانَا على قَيْدِ الحياةِ، فليس لهما إلا الحَسْرَةُ والندامةُ، وتذكُّر أبنائهما في صغرِهما، وما كانا عليه، وليتَ الأمرَ يقفُ عند هذا الحدِّ، بل إنهما يُوَرِّثَان هذه الأحقادَ لأَبْنَائِهما، وتظلُّ الخطيئةُ باقيةً، وشاهدةً على صُنْعِ الإخوةِ.

إن العلاقة بينَ الإخوةِ لها مكانة عظيمة يجب أن يحوطها عاطفةٌ كبيرة، وانتماءٌ كبيرٌ؛ إذ يشعر الأخ أنَّ أَخاه هو نفسه، يَسُوؤُه ما يَسُوؤُه، ويُحْزِنُه ما يُحْزِنُه، ويُفْرِحُه ما يُفْرِحُه.

إنَّ من شدة متانة العلاقةِ بين الإخوة أنهم يتوارثون أموالهم في الشريعة، بل ويَرِثون الحقَّ في الدماءِ، بل إن اللهَ -جل وعلا- بيَّن عُمق العلاقة بجواز الأكل مِن بيت أخيك بدون إذنِه، فقال -تبارك وتعالى-: ﴿لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالَاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُمْ مَفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا﴾ (٨٣)، وهذا الحرَج المنفيُّ -كما قال المفسرون- هو عن الأكل مِن هذه البيوت،

(٨٣) سورة النور: ٦١.

كلُّ ذلك إذا كان بدونِ إذْن، والحكمة فيه معلومةٌ مِن السياق، فإن هؤلاء المُسَمَّيْنَ قد جرَتِ العادةُ والعُرفُ بالمسامحة في الأكل عندها، لأجل القرابة القريبة، أو التصرف التامِّ، أو الصداقة. فلو قُدِّر في أحدٍ مِن هؤلاء عدمُ المسامحةِ، والشُّحُّ في الأكلِ المذكورِ، لم يَجُزِ الأكلُ، ولم يرْتَفِع الحرجُ، نظرًا للحكمة والمعنى.

إنَّ أعظم قطيعةٍ في الرَّحِمِ بعد الوالدين قطيعةُ الإخوة، ولهذا حذر النبي تحذيرا شديدا من قطع الرحم وبيّن ﷺ أنه لا يدخل الجنة قاطع رحم كما في الصحيحين مِن حديثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أنَّ رسول الله ﷺ قال: "لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ قَاطِعُ رَحِمٍ" (٨٤).

بل جاء في الصحيحين الوعيدُ الشديد، كما روى أبو هريرة –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ خَلَقَ الْخَلْقَ حَتَّى إِذَا فَرَغَ مِنْهُمْ قَامَتِ الرَّحِمُ، فَقَالَتْ: هَذَا مَقَامُ الْعَائِذِ مِنَ الْقَطِيعَةِ، قَالَ: نَعَمْ، أَمَا تَرْضَيْنَ أَنْ أَصِلَ مَنْ وَصَلَكِ، وَأَقْطَعَ مَنْ قَطَعَكِ؟ قَالَتْ: بَلَى، قَالَ: فَذَاكِ لَكِ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَءُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ * أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَى أَبْصَارَهُمْ * أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا﴾ (٨٥). (٨٦)

وفي صحيحِ البخاريِّ عن أبي هريرةَ –رضي الله عنه– قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ الرَّحِمَ شَجْنَةٌ مِنَ الرَّحْمَنِ، فَقَالَ اللهُ: مَنْ وَصَلَكِ وَصَلْتُهُ، وَمَنْ قَطَعَكِ قَطَعْتُهُ" (٨٧).

قيل: أَصْلُ الشَّجْنَة عروقُ الشجر المشتبكة، وقوله "مِنَ الرَّحْمَنِ" أي أُخِذَ اسمُها من هذا الاسم، كما في حديثِ عبد الرحمن بنِ عوفٍ في السُّنَنِ مَرفُوعًا: "أَنَا اللهُ، وَأَنَا الرَّحْمَنُ، خَلَقْتُ الرَّحِمَ، وَشَقَقْتُ لَهَا مِنْ اسْمِي" (٨٨).

قال الإسماعيلي: "معنى الحديث أَنَّ الرّحِم اشْتُقَّ اسْمُهَا من اسْم الرَّحْمَنِ، فلها به عُلْقَةٌ" (٨٩).

---

(٨٤) صحيح البخاري ٥٦٣٨.
(٨٥) سورة محمد: ٢٢- ٢٤.
(٨٦) صحيح البخاري ج ٤ ص ٢٤٦ح رقم ٥٦٤١.
(٨٧) صحيح البخاري ٥٦٤٢.
(٨٨) أخرجه الترمذي: ١٩٠٧.
(٨٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ، ٤١٨/١٠.

لذا جاء التحذير الشديد من قطع الرحم وأن عقوبتها تعجل لصاحبها في الدنيا مع ما يُصيبه من العذاب في الآخرة، فعن أبي بَكْرَةِ –رضي الله عنه– عن النبي ﷺ قال: "مَا مِنْ ذَنْبٍ أَجْدَرُ أَنْ يُعَجِّلَ اللهُ لِصَاحِبِهِ العُقُوبَةَ فِي الدُّنْيَا –مَعَ مَا يَدَّخِرُ لَهُ فِي الآخِرَةِ– مِنَ البَغْيِ وَقَطِيعَةِ الرَّحِمِ" (٩٠).

وأخرجَ الطبَرَانِيُّ عن الأعْمَشِ قال: كان ابنُ مسعودٍ جالسًا بَعْدَ الصُّبْحِ في حَلْقَةٍ فقال: "أَنْشُدُ اللهَ قَاطَعَ رَحِمٍ لَمَا قَامَ عَنَّا، فَإِنَّا نُرِيدُ أَنْ نَدْعُوَ رَبَّنَا، وَأَبْوَابُ السَّمَاءِ مُرْتَجَةٌ دُونَ قَاطَعِ رَحِمٍ"(٩١).

وروي في بيان شدة العقوبة: "أنَّ الرّحمةَ لا تنزلُ علَى قومٍ فيهِم قاطعُ رحمٍ" (٩٢).

قال الحافظ في الفتح: "قال الطيبي: يحتمل أن يراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم، ولا ينكرون عليه، ويحتمل أن يراد بالرحمة المطر، وأنه يحبس عن النّاس عموما بشؤم التقاطع"(٩٣).

(٩٠) أخرجه أبو داود ٤٩٠٢.
(٩١) أخرجه الطبراني: ٨٧٩٣.
(٩٢) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، رقم: ٦٣
(٩٣) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، مرجع سابق، ٤١٥/١٠.

المبحث الثالث: حق الأخوة النسبية.

إن من فضل الله على الإنسان أن جعل له نسبا يعرف به أهله وأخوته، حيث قال ﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا﴾ (٩٤)، إن القيام بحق الأخوة والأخوات من النسب، عبادة وليست عادة، وصلة نصل الله بها، وقربة لله، حق وليست فضلا، واجب وليس مجاملة، وليست لمصلحة ولا لمطمع دنيوي بل دين ندين الله به، ويجب أن تتجرد العلاقات بينهم عن المصالح فليست بينهم مصلحة بل هم إخوة من رحم واحدة، يجمعهم الحب والمودة، ويحوطهم الحنان والشفقة، ويسودهم الخوف والحرص على بعضهم البعض، لا تفرقهم دنيا ولا يكدر صفوهم طمع وأنانية، وقد جعل الشرع الحنيف للأخ حقوقاً على أخيه، وأوجب الواجبات ووضع الآداب المشروعة لهذه العلاقة، ومن هذه الحقوق والواجبات ما يلى:

أولاً : البر والإحسان إليه:

إن أخوة النسب مدعاة للبر والإحسان والعطف والحنان وحسن الصلة بين الأخوة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٩٥) ففي هذا إشارة إلى ما قابل به يوسف إخوته جميعا من البر والإحسان و كرم الضيافة وحسن الصلة وإلي ما قابل به بنيامين بالخصوص من عطف خاص عندما اختلى به وعرفه بانه هو أخوه يوسف، وطمأنه على مصيره، بقوله ﴿إِنِّي أَنَا أَخُوكَ﴾. وسبب ذلك التكريم والحنان والصلة الزائدة الأخوة النسبية التي تربطه بهم مع زيادة ذلك مع بنيامين لازدياد الصلة بينهما..

لقد بين لنا رسول الله ﷺ أن الأخ سواء كان شقيقاً أو أخاً لأب أو لأم، أو كان أخا من الرضاعة؛ هو أولى الناس بالإحسان، والبر والإكرام، بعد الأب والأم والأخت؛ روى النَّسائيُّ بسنده عَنْ طارِقٍ الْمُحَارِبِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قالَ: قَدِمْنَا المدينةَ فَإِذَا رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَائِمٌ عَلَى المِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ وَيَقُولُ: ((يَدُ الْمُعْطِي الْعُلْيَا، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ: أُمَّكَ وَأَبَاكَ وَأُخْتَكَ وَأَخَاكَ، ثُمَّ أَدْنَاكَ أَدْنَاكَ)). رَوَاهُ النَّسائيُّ وَصَحَّحَهُ ابنُ حِبَّانَ والدَّارَقُطْنِيُّ

(٩٤) سورة الفرقان: ٥٤
(٩٥) سورة يوسف: ٦٩.

[٩٦]، وبر الأخ يكون بالسؤال عنه وعن أولاده وأهله، وتفقد أحواله، والتودد إليه، وزيارته وصلته، ومشاركته في أفراحه وأتراحه؛ فيفرح لفرحه، ويحزن لحزنه، فالصلة التي تسري في عروق الإخوة واحدة، فقد تربوا في بيت واحد، واجتمعوا على طعام واحد، تجمعهم ذكريات جميلة في طفولتهم، ومواقف لا تنسى في نشأتهم، وصباهم وشبابهم، وتوحدهم علاقات المحبة والتعاون طيلة حياتهم.

وإن قوام العلاقة الصادقة بين الأخ وأخيه: أن يحب له ما يحب لنفسه؛ قال رسول الله ﷺ لأحد أصحابه: «أتحب الجنة؟» قال: نعم. قال ﷺ: «فأحب لأخيك ما تحب لنفسك» [٩٧]. أي أحب لأخيك من النسب وغيره ما تحب لنفسك من الخير.

فالأخ يحب لأخيه الخير، ويعمل على تحقيق نفعه؛ كما فعل الوليد بن الوليد رضي الله عنه، حين أرسل إلى أخيه خالد بن الوليد رضي الله عنه رسالة يدعوه فيها إلى ما فيه رفعته، وبه نجاته وفوزه؛ قال خالد رضي الله عنه: فلما جاءني كتاب أخي... عمدت إلى رسول الله ﷺ فسلمت عليه وأسلمت.

ثانياً: المواساة له:

إن من حقوق الأخوة النسبية المواساة بالمال والكلمة فهذا يوسف عليه السلام يقف مع أخيه مواسيا له فلا تبتئس بل ويواسي إخوته بالطعام والزاد والمؤونة رغم مع فعلوا معه " قال لفتيانه اجعلوا بضاعتهم في رحالهم " فأعطاهم وزاد لهم الكيل ولم يبخل عليهم بعطاء عرفانا بحق الأخوة.

إن من حق الأخ على أخيه أن يواسيه بماله إن افتقر وأن يسارع إلى سد جوعته وستر عورته، فقد جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: (الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ لَا يَظْلِمُهُ وَلَا يُسْلِمُهُ وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) [٩٨]

(٩٦) سنن النسائي حديث رقم (٢٥٣٢)، (٦١/٥).
(٩٧) البخاري ج ٣ ص٢٦ برقم ١٣، وصحيح مسلم ج ٢ص ٥٠ برقم ٤٥
(٩٨) صحيح البخاري برقم/٢٤٤٢

وفي حديث ابن الزبير رضي الله عنه قال: سمعت النبي ﷺ يقول: (ليس المؤمن الذي يشبع وجارُه جائع [٩٩]... فإذا كان للجار هذا الحق فإنه للأخ بالدم والنسب من باب أولى.

يجب على الأخ أن يتعاون مع أخيه بحب، ويسعى في تيسير أموره بود، ويمده بماله عند حاجته بكرم، قال رسول الله ﷺ: « يد المعطي العليا، وابدأ بمن تعول: أمك وأباك، وأختك وأخاك» [١٠٠]

ومن النماذج الرائعة في التعامل المادي بين الأخوة هذا المشهد الراقي للصحابيين الجليلين عبد الرحمن بن عوف وسعد بن الربيع رضي الله عنهما، فلقد جمع هذا المشهد بين بذل الأخ لأخيه ومساندته له وبين تعفف الأخ عن قبول العطاء حتى ولو كان من أخيه، فلقد آخى بينهما رسول الله ﷺ بعد هجرته إلى المدينة، فضربا للمسلمين وللبشرية جمعاء مثالا يحتذى في التعامل المادي الراقي المنسجم مع تعاليم دين الله الحنيف.

ورد في الحديث عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَدِمَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ عَوْفٍ الْمَدِينَةَ فَآخَى النَّبِيُّ ﷺ بَيْنَهُ وَبَيْنَ سَعْدِ بْنِ الرَّبِيعِ الْأَنْصَارِيِّ فَعَرَضَ عَلَيْهِ أَنْ يُنَاصِفَهُ أَهْلَهُ وَمَالَهُ فَقَالَ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ. فَرَبِحَ شَيْئًا مِنْ أَقِطٍ وَسَمْنٍ فَرَآهُ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ أَيَّامٍ وَعَلَيْهِ وَضَرٌ مِنْ صُفْرَةٍ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (مَهْيَمْ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ) قَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ تَزَوَّجْتُ امْرَأَةً مِنْ الْأَنْصَارِ. قَالَ: فَمَا سُقْتَ فِيهَا ؟ فَقَالَ: وَزْنَ نَوَاةٍ مِنْ ذَهَبٍ. فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: (أَوْلِمْ وَلَوْ بِشَاةٍ) [١٠١] وفي رواية مسند أبي يعلى قال سَعْدُ بْنُ الرَّبِيعِ: يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ: إِنِّي مِنْ أَكْثَرِ الأَنْصَارِ مَالا وَأَنَا مُقَاسِمُكَ، وَلِي امْرَأَتَانِ فَأَنَا أُطَلِّقُ لَكَ إِحْدَاهُما فَإِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا فَتَزَوَّجْهَا فَقَالَ لَهُ عَبْدُ الرَّحْمَنِ: بَارَكَ اللَّهُ لَكَ فِي أَهْلِكَ وَمَالِكَ وَلَكِنْ دُلَّنِي عَلَى السُّوقِ.

(٩٩) صحيح الأدب المفرد للألباني برقم/٥٢
(١٠٠) سنن النسائي باب أيتهما اليد العليا ج ٥ ص٦١.
(١٠١) صحيح البخاري برقم/٣٩٣٧.

ثالثًا: إدخال السرور عليه:

الأصل في الأخوة: أن يذهب الأخ عن أخيه البؤس والحزن، ويبعث في نفسه الطمأنينة بالود والقرب منه ويدخل السرور والسعادة إلى قلبه.

الأخ تأنس به النفس وتسعد به الروح وتبتهج به الصدور ويسعد الأخ بلقاء أخيه وينتهى ما به من بؤس بمجرد لقاء أخيه ﴿ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ إِنِّي أَنَا أَخُوكَ فَلا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (١٠٢) ؛ فانتهى البؤسُ بمجردِ لقائه بأخيهِ.. فهو الذي في الغربةِ سيواسيه ويحميه، فالأخ للأخ قوة وسند، وحصن ومعتمد، ومؤنس ورفيق، ومفرج عنه عند الضيق.

ما أجمل الحياة حين تضيق بك الدنيا فتجد فيها أخاك يشاركك أحزانك و يواسيك في همومك. وأجمل من ذلك حين يقاسمك، الشراكة في العمل الصالح.

الأخ يحب الخير لأخيه ويفرحُ لفرحِ أخيه ويحزنُ لُحزنِه.. فإنه يَزينُهُ ما يزينُكَ، ويعيبُه ما يعيبُكَ.. ويتحمَّلُ أخطاءَك وهفواتِكَ.. أخوكَ إذا خدمتَه صانَكَ، وإن صحبتَه زانَكَ.. يكتمُ سِرَّكَ، ويَسترُ عيبَك.. يُخفي منكَ كلَّ قَبيحٍ ويُبدي منكَ كلَّ جميلٍ.. ويتمنى لك كل نجاحٍ وتوفيقٍ وخيرٍ جَزيلٍ.

رابعًا: النصح له والنصرة:

الأخ مرآة أخيه؛ إذا رأى فيه عيبا أصلحه، وإن وجد فيه نقصا أكمله، وإذا نصحه أخلص النصيحة له، قال النبي ﷺ: « إذا استنصح أحدكم أخاه فلينصح له» (١٠٣) ؛ فينصحه بالفضائل، ويدله على المحاسن، ويستشيره فيما عرض له من الأمور؛ فقد سئل عبد الله بن المبارك رحمه الله: ما خير ما أعطي الإنسان؟ فقال: غريزة عقل. قيل: فإن لم يكن؟ قال: حسن أدب. قيل: فإن لم يكن؟ قال: أخ شقيق يستشيره (١٠٤).

(١٠٢) سورة يوسف: ٦٧.
(١٠٣) البخاري باب "هل يبيع حاضر لباد بغير اجر " ٧٢/٣.
(١٠٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٤م، ص٢٣٤.

لقد ذكر القرآن ما كان من هابيل تجاه أخيه مقدما له النصيحة محاولا إبعاده عن الظلم والوقوع في الجريمة قائلا له علي سبيل النصح والإصلاح محذرا له من الوقع في الخطأ ﴿لَئِن بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَآ أَنَاْ بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِاقْتُلَكَ﴾(١٠٥).

أَخُوكَ الَّذِي يَحْمِيكَ فِي الغَيْبِ جَاهِدًا * وَيَسْتُرُ مَا تَأْتِي مِنَ السُّوءِ وَالقُبْحِ**

وَيَنْشُرُ مَا يُرْضِيكَ فِي النَّاسِ مُعْلِنًا * وَيُغْضِي وَلا يَأْلُو مِنَ البِرِّ وَالنُّصْحِ** (١٠٦)

سئل حكيم: كيف تعرف ود أخيك؟ فقال: يحمل همي، ويسأل عني، ويسد خللي، ويغفر زللي، ويذكرني بربي، فقيل له: وكيف تكافئه؟ قال: أدعو له بظهر الغيب.

الأخُ هو عصاكَ التي تتكئُ عليها وسطَ عواصفِ العُمُرِ.. الأخُ هو سَنَدُكَ إذا تكالبتْ عليكَ الهمومُ وضاقَ بكَ الصَّدرُ.. أخوكَ بعدَ اللهِ تعالى هو النَّصيرُ لكَ في الحياةِ والمُعينُ.. أخوكَ هو أُنسُ الخاطرِ وسلوَّةُ القلبِ وقُرَّةُ العينِ.

أَخَاكَ أَخَاكَ إِنَّ مَنْ لاَ أَخَا لَهُ * كَسَاعٍ إِلَى الهَيجَا بِغَيرِ سِلاَحِ**

لذلك يحكى أن الحجاج قبض على ثلاثة أشخاص في تهمة وأمر أن تضرب أعناقهم، و ساعة التنفيذ شاهد امرأة تبكي ومنكسرة فقال الحجاج وما يبكي تلك المرأة آتوني بها، وسألها ما شأنها ولماذا البكاء فقالت كيف لا أبكي وأنت تأمر سيافك أن يقتل ابني وزوجي وأخي، فقرر الحجاج أن يضعها على المحك حين قال لها إنه سيعفو عن أحدهم إكراما لها وقال: عليك أن تختاري واحدا منهم لنعفو عنه، وكان الحجاج يعتقد بأنها ستختار الولد، وكان الجميع ينتظر إجابة تلك المرأة وأغلبهم يتوقع أن تختار الابن لأن شعور الأمومة لا يقدر بثمن ولا يعرف قيمته سوى الأمهات!

لم تتردد المرأة في الاختيار قائلة: أختار أن يتم العفو عن أخي! انصدم الحجاج من جوابها ولكنها أسكتت الجميع عندما قالت كلمات أصبحت حكمة يتداولها الناس إلى يومنا

(١٠٥) سورة المائدة: ٢٨.

(١٠٦) مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م، ٨٢/٤.

هذا، الزوج موجود والولد مولود وأما الأخ مفقود لتعذر وجود الأب والأم، وأعجب الحجاج بحكمتها فعفا عنهم جميعا (١٠٧).

الأخُ الذي إذا مدَدتَ يدكَ بخيرٍ مدَّها.. وإن رأى منك حَسنةً عدَّها.. وإن رأى منكَ سيئةً سدَّها.. إذا سألتَه أعطاكَ.. وإن سكتَّ عنه ابْتَدَاكَ.. وإن نزلتَ بك نازلةٌ واساكَ.. أخوكَ الذي إذا قُلتَ صدَّقَ قولَكَ.. وإذا رأى منكَ عورةً نصحَكَ.. وإن تنازعتما في شيءٍ آثركَ.. يكونُ معكَ في النوائبِ.. ويؤثركَ في الرغائبِ.. يضرُّ نفسَه لينفعكَ.. ويُشتِّتُ شملَه ليجمعكَ.

ولقد كان أهل الجاهليةِ يعلمون مكانة الأخ وعظم منزلته، " فهذا مُهَلْهِلُ بنُ ربيعةَ لمَّا قُتلَ أخوهُ كليبٌ، رثاهُ بقوله:

كُلَيْبُ لاَ خَيْرَ في الدُّنْيَا وَمَنْ فِيهَا * إنْ أنتَ خليتَها في مَنْ يُخليها**

نعى النُّعاة كليباً لي فقلتُ لهمْ * مادتْ بنا الأرضُ أمْ مادتْ رواسيها** (١٠٨)

ومن النماذج العظيمة في الأخوة: سيدنا عمر بن الخطاب مع أخيه زيد فقد كان عمر شديد الحب لأخيه زيد، رآه عمر يوم أحد، وقد سقط الدِّرع عنه، وأصبح قريبًا من الأعداء، فصاح قائلا: خذ درعي يا زيد فقاتل به، فردَّ عليه زيد: إني أريد من الشهادة ما تريده يا عمر، وأبى أن يأخذ درعه وظل يقاتل بغير درع في فدائية، ولكن الله لم يكتب له الشهادة في تلك الغزوة.

ولما استشهد زيد بن الخطاب في موقعة اليمامة بعد قتال شديد حزن المسلمون لموت زيد حزنًا شديدًا، وكان أشدهم حزنًا عليه أخوه عمر الذي قال حينما علم بموته: رحم الله زيدًا سبقني إلى الحسنيين، أسلم قبلي، واستشهد قبلي.

وبلغ من محبته لأخيه أنه كان دائمًا يقول: ما هبت الصبا إلا وجدت منها ريح زيد، وها هو ذا يقول لمتمم بن نويرة: لو كنت أحسن الشعر لقلت في أخي زيد مثل ما قلت في أخيك مالك، وكان متمم قد رثى أخاه مالكًا بأبيات كثيرة، فقال متمم، ولو أن أخي

(١٠٧) عيون الحكم والعبر، جنيد بن محمد بن عبد الله خوري، دار الآفاق العربية، ٢٠١٤م، ١٠٣/١.

(١٠٨) السيرة المهلهلية، الزير سالم، ص٨٧.

ذهب على ما ذهب عليه أخوك ما حزنت عليه، فقال عمر: ما عزاني أحد بأحسن مما عزيتني به [١٠٩] وقد كان متمم يكثر ذكر أخيه وإذا مر على قبر، تذكر أخاه مالكًا فبكى، فَلِيمَ على ذلك، فقال:

لقد لامني عند القبور على البكا رفيقي لتِذراف الدموع السَّوافكِ

فقال: أتبكي كل قبر رأيته لقبرٍ ثوى بين اللِّوى والدكادكِ

فقلت له: إن الأسى يبعث الأسى ذروني، فهذا كله قبر مالكِ [١١٠]

حزن عمر على أخيه زيد حزنا شديدا فعمر مع قوته حين فقد أخوه شعر بأن ظهره قد كسر وفقد ركناً يميل اليه في الشدائد، وعصاً يتوكأ عليها في النوائب، ولذلك رُوِي عن لقمان: أنَّه قدِمَ من سفر، فلقِيه غلامٌ في الطريق، فقال: ما فعل أبي؟ قال: مات، قال: الحمد لله، ملكتُ أمري، قال: ما فعلت أمِّي؟ قال: ماتت، قال: ذهب همِّي، قال: ما فعلتِ امرأتي؟ قال: ماتت، قال جُدِّد فراشي، قال: ما فعلت أختي؟ قال: ماتت، قال: سُتِرت عورتي، قال: ما فعل أخي؟ قال: مات، قال: انقطع ظهري [١١١]

وقد رُوي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ أرسل إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه ثوبا جميلا، فأهداه عمر رضي الله عنه إلى أخ له. لقد آثر عمر أخاه على نفسه بهدية رسول الله لمحبته لأخيه وتقديرا له واعترافا بفضله ومعرفة لمكانته وحقه فهو اولى الناس بالبر والعطاء والفضل والإكرام.

ومن النماذج العظيمة التي تظهر مدى تضحية الأخ من أجل أخواته: سيدنا جابر بن عبدالله فقد مات أبوه في غزوة أحد وترك له تسعة من البنات فكان جابر يضمد جراحهن، ويخفف آلامهن، ويصبرهن على مصابهن ويقوم على شئونهن، ولما أراد أن

(١٠٩) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م، ٢٩٨/١.

(١١٠) الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م، ص٨٩.

(١١١) بحر العلوم، نصر السمرقندي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م، ٢٢/٣، عند تفسيره لقول الله تعالى {ولقد ءاتينا لقمان الحكمة}. انظر أيضا: آباء وأبناء: ملامح تربويَّة في القرآن الكريم، فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م، ص١٩٥.

يتزوج بحث عن الزوجة التي تساعده في تحمل المسئولية تجاه أخواته فقد روى جابر أن النبى لقيه، فقال لي رسول الله ﷺ: ((يا جابر تزوجت؟)) قال: قلت: نعم. قال: ((فبكر أم ثيب ؟)) قال: قلت: بل ثيب يا رسول الله. قال: ((فهلا جارية تلاعبها وتلاعبك ؟)) أو قال: ((تضاحكها وتضاحكك ؟)) قال: قلت له: إن عبد الله هلك، وترك تسع بنات أو سبع، وإني كرهت أن آتيهن أو أجيئهن بمثلهن !! فأحببت أن أجيء بامرأة تقوم عليهن وتصلحهن (١١٢).

وفى رواية قلت يا رسول الله: توفي والدي أو استشهد ولي أخوات صغار، فكرهت أن أتزوج مثلهن، فلا تؤدبهن ولا تقوم عليهن، فتزوجت ثيبا لتقوم عليهن وتؤدبهن) قال: ((فبارك الله لك))، أو قال لي ((خيراً)) (١١٣).

فالأخ لا يعوض ولا يشعر بقيمة الأخ أو الأخت إلا الذي حرم من الإخوة أو فقد أحدهم،، فالأخ هو أقرب الناس لأخيه، وهو الشخص الذي تأنس إليه الروح ويهفو إليه القلب، وهو رفيق العمر الذي لا يخون أخاه أبداً ولا يتخلى عنه، لأن ما يربط بين الأخ وأخيه أقوى من كل شيء، فرابطة الدم تجعل الشخص ينجذب فطرياً لأخيه ويأنس له ويعتبره أقرب الناس إليه، ولا يعرف قيمة الاخ إلا من يفتقد وجود هذه النعمة في حياته، الأخُ الذي إذا مدَدتَ يدكَ بخيرٍ مدَّها.. وإن رأى منك حَسنةً عدَّها.. وإن رأى منكَ سيئةً سدَّها..

خامسًا: التغافل والتسامح:

من أهم ما يجب من الأخ تجاه أخيه أن يعفو عن زلته، ويتناسى عثرته، ويتغاضى عن هفوته، وأن يلتمس له العذر عند وقوع الخطأ، فالحياة تعتريها مصاعب ومنعطفات غالبا ما تتباين فيها وجهات النظر فلا يكن ذلك مدخلا للشيطان في التحريش والتفريق وتضخيم القضية الخلافية، وقد كانت قصة نبي الله يوسف عليه السلام مع إخوته وما حدث منهم معه وكيف قابل صنيعهم بالعفو والمغفرة والتسامح واللين بل والصفح عنهم

(١١٢) - البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب استئذان الرجل الإمام لقوله: { إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع.. } (ح/٢٨٠٥).
(١١٣) - مسلم، كتاب المساقاة، باب استحباب نكاح ذات الدين (ح/٧١٥).

والدعاء لهم نموذجا ومثالا يقتدى به في تعامل الأخوة فيما بينهم حين نشوب المشكلات أو ظهور الخلافات أو حدوث ما يعكر الصفو، فالحياة لا تصفو دون كدر أو اختلاف، فقد تعامل يوسف مع إخوته بقلب الأخ الذي يمتلئ حبا وشفقة ورحمة، فمع شدة ما فعلوا بيوسف إلا أنه لما استمع لمقالهم وعرف حالهم وعاين منظرهم رق لهم وبكي لحالهم وترفق بهم وخلع التاج من على رأسه وكشف لهم عن نفسه، يقُولُ تَعَالَى مُخْبِرًا عَنْ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، أَنَّهُ لَمَّا ذَكَرَ لَهُ إِخْوَتُهُ مَا أَصَابَهُمْ مِنَ الْجَهْدِ وَالضِّيقِ وَقِلَّةِ الطَّعَامِ وَعُمُومِ الْجَدْبِ، وَتَذَكَّرَ أَبَاهُ وَمَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْحُزْنِ لِفَقْدِ وَلَدَيْهِ مَعَ مَا هُوَ فِيهِ مِنَ الْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ وَالسَّعَةِ، فَعِنْدَ ذَلِكَ أَخَذَتْهُ رِقَّةٌ وَرَأْفَةٌ وَرَحْمَةٌ وَشَفَقَةٌ عَلَى أَبِيهِ وَإِخْوَتِهِ، وَبَدَرَهُ الْبُكَاءُ فتعرف إليهم، فيقال: إِنَّهُ رَفَعَ التَّاجَ عَنْ جَبْهَتِهِ، وَكَانَ فِيهَا شامة، وقال هلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ يَعْنِي كَيْفَ فَرَّقُوا بَيْنَهُ وبين أخيه إِذْ أَنْتُمْ جاهِلُونَ أَيْ إِنَّمَا حَمَلَكُمْ عَلَى هَذَا الْجَهْلُ بِمِقْدَارِ هَذَا الَّذِي ارْتَكَبْتُمُوهُ، كَمَا قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: كُلُّ مَنْ عَصَى اللَّهَ فَهُوَ جَاهِلٌ، وَقَرَأَ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهالَةٍ " (١١٤) (١١٥).

ثم عفا عنهم وسامحهم، فقد قابل الإساءة بالإحسان، والظلم بالعفو، والجرم بالصفح، والاعتداء عليه بالاحتواء والإكرام، والحسد والحقد بالدعاء لهم بالرحمة والمغفرة، قالوا مُعْتَرِفِينَ لَهُ بِالْفَضْلِ وَالْأَثْرَةِ عَلَيْهِمْ فِي الْخَلْقِ وَالْخُلُقِ وَالسَّعَةِ وَالْمُلْكِ وَالتَّصَرُّفِ وَالنُّبُوَّةِ أَيْضًا، عَلَى قَوْلِ مَنْ لَمْ يَجْعَلْهُمْ أَنْبِيَاءَ، وَأَقَرُّوا له بأنهم أساؤوا إِلَيْهِ وَأَخْطَئُوا فِي حَقِّهِ قالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يقول: أي لَا تَأْنِيبَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَتْبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ، ولا أعيد عليكم ذَنْبَكُمْ فِي حَقِّي بَعْدَ الْيَوْمِ، ثُمَّ زَادَهُمُ الدُّعَاءَ لَهُمْ بِالْمَغْفِرَةِ فَقَالَ: يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ قَالَ السُّدِّيُّ: اعْتَذَرُوا إِلَى يُوسُفَ فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقُولُ: لَا أَذْكُرُ لَكُمْ ذَنْبَكُمْ: وَقَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ والثوري لا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ أَيْ لَا تَأْنِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ عِنْدِي فِيمَا صَنَعْتُمْ، يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ أَيْ يَسْتُرُ اللَّهُ عليكم فيما فعلتم وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ (١١٦).

(١١٤) سورة النحل: ١١٩.
(١١٥) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ٤٠٨/٤.
(١١٦) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ٤٠٨/٤.

وصفح عنهم صفحا جميلا لا تعيير فيه ولا ملامة ولا تأنيب فقد قال لا تثريب عليكم والتثريب في لغة العرب يعنى عدم التعيير قال لهم: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (١١٧)، تناسي يوسف عليه السلام فعلهم رغم صعوبته وشدة قسوته عليه وتناسي ما أصابه بسببهم من السجن والبعد عن أبيه وألم الفراق وتعريض حياته للخطر كل ذلك وينسي يوسف ذنبهم وجرمهم في حقه فقال لهم لا تثريب عليكم ذكر المفسرون في معنى لا تثريب عليكم أى لا أذكره لكم ولا تعيير لكم بما فعلتم ولا تأنيب عليكم (١١٨).

وتأتى أعلى درجات التسامح والعفو بالتوجه لله بالدعاء لهم أن يغفر الله لهم وأن يتجاوز عن خطئهم وزلتهم دون أن يذكر شيئا من الماضي الذي فعلوه وكانوا سببا فيه، قال تعالى على لسان يوسف ﴿يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ وهذا دعاء من يوسف لإخوته بأن يغفر الله لهم ذنبهم فيما أتوا إليه وركبوا منه من الظلم، يقول: عفا الله لكم عن ذنبكم وظلمكم، فستره عليكم" (١١٩).

ومن الموقف الجليلة في العفو والصفح عن الأخ والتغاضي عن زلته ما فعله موسي مع أخيه هارون حين غضب واشتد غضبه وأخذ برأسه يجره إليه ساعة أن علم أن بنى إسرائيل عبدوا العجل في غيابه، ولكن سرعان ما رجع موسي عن غضبه تجاه هارون، بل ولما أدرك ما فعله بأخيه وأنه قد يحزنه ويغضبه دعا الله بالمغفرة والرحمة له ولأخيه ﴿وَلَمَّا سَكَتَ عَن مُّوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ﴾، وتذكَّرَ ما فعلَ بأخيه، ﴿قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾(١٢٠).. فما أجملَ الأخوَّةِ في أسمى معانيها.. خِلافٌ.. فهدوءٍ.. فاعتذارٌ.. فتسامحٌ.. فدعاءٌ واستغفارٌ.

(١١٧) سورة يوسف: ٩٢.
(١١٨) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، مرجع سابق، ٣٤٣/٤.
(١١٩) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، مرجع سابق، ٢٤٣/٩.
(١٢٠) سورة الأعراف: ١٥١.

الخاتمة والنتائج:

إن للأخوة النسبية منزلة كريمة، ومكانة سامية عظيمة؛ وقد تناولت في هذا البحث حديث القرآن عن الأخوة النسبية من لا ومدى اهتمام الإسلام بها وتوصلت إلى بعض النتائج وهى كما يلى:

١-يرجع أصل الأخوة في القرآن إلى معنيين هما: الأخوة النسبية والنظير المشارك في بعض الخصائص.

٢- تأتى كلمة أخ بالإضافة، وقد تكون بمعنى النسب والقرابة، وهو الغالب، وبمعنى الدين، وهو الأقل، وبمعنى مشترك بينهما.

٣- من الأخوة النسبية في القصص القرآني أخوة موسي وهارون ويوسف وأخوته وكذلك هابيل وقابيل ابنى آدم عليه السلام.

٣- من النماذج المهمة في العلاقة بين الأخ واخيه موقف موسي مع هارون وهذه أعظم أخوة في التاريخ فقد رفعت هارون لمقام النبوة، ولذلك كان موسى أنفع أخ لأخيه.

٤- من واجب الأخ نحو أخيه أن يحب الخير له وأن يفرح لفرحِ أخيه ويحزن لُحزنِه.. فإنه يَزينُهُ ما يزينُكَ، ويعيبُه ما يعيبُكَ.

٥ ــ من حق الأخ على أخيه البر به والإحسان إليه والنصرة له والنصح له، وأن يعفو عن زلته وأن يتناسي هفوته وأن يسامحه وأن يدعو له.

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع:

١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد، أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة، تحقيق أحمد عبد الله القرشي رسلان، نشر الدكتور حسن عباس زكي، القاهرة، ١٤١٩هـ،
٢) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م،
٣) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن أبي حاتم)، عبد الرحمن ابن أبي حاتم، تحقيق أسعد محمد الطيب، مكتبة نزار مصطفى الباز، المملكة العربية السعودية، ط٣، ١٤١٩هـ،
٤) تفسير القرآن العظيم (تفسير ابن كثير)، إسماعيل بن عمر بن كثير، تحقيق سامي بن محمد السلامة، دار طيبة، ط٢، ١٩٩٩م،
٥) لباب التأويل في معاني التنزيل (تفسير الخازن)، علاء الدين الخازن، تحقيق عبد السلام محمد علي شاهين، دار الكتب العلمية ط١، ٢٠٠٤م،
٦) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (تفسير السعدي)، عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ٢٠٠٠م،
٧) بحر العلوم، نصر السمرقندي، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٣م،
٨) آباء وأبناء: ملامح تربويَّة في القرآن الكريم، فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، ١٩٩٧م،
٩) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، محمد سيد طنطاوي، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط١، ١٩٩٨م،
١٠) التيسير في أحاديث التفسير، محمد المكي الناصري، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١، ١٩٨٥م،
١١) الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبي)، شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٩٦٤م،
١٢) الحماسة البصرية، علي بن أبي الفرج بن الحسن البصري، تحقيق عادل سليمان جمال، مكتبة الخانجي، ١٩٩٩م،
١٣) المفردات في غريب القرآن، الراغب الأصفهاني، تحقيق عدنان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ،
١٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء، محمد بن حبان البستي، دار ابن الجوزي، ط١، ٢٠١٤م،
١٥) سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تحقيق حسان عبد المنان، بيت الأفكار الدولية، لبنان، ٢٠٠٤م،
١٦) جامع البيان في تأويل القرآن (تفسير الطبري)، محمد بن جرير الطبري، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١، ٢٠٠٠م،
١٧) العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق مهدي المخزومي، إبراهيم السامرائي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط١، ١٩٨٨م،
١٨) عيون الحكم والعبر، جنيد بن محمد بن عبد الله خوري، دار الآفاق العربية، ٢٠١٤م،
١٩) فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن على بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩هـ،

٢٠) مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، فخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ،
٢١) القاموس الفقهي لغة واصطلاحا، سعدي أبو جيب، دار الفكر، دمشق، ط٢، ١٩٨٨م،
٢٢) لطائف الإشارات (تفسير القشيري)، عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري، تحقيق إبراهيم البسيوني، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ط٣، ٢٠٠٠م،
٢٣) مجاني الأدب في حدائق العرب، رزق الله بن يوسف بن عبد المسيح بن يعقوب شيخو، مطبعة الآباء اليسوعيين، بيروت، ١٩١٣م،
٢٤) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، تحقيق عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٩٩١م،
٢٥) نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، تحقيق محمد عبد الكريم كاظم الراضي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٩٨٤م،
٢٦) الوجوه والنظائر، أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، تحقيق محمد عثمان، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ط١، ٢٠٠٧م.